

دراسة حقيقية حول تعداد التركمان في العراق

عاصف سرت توركمز - الحلقة الرابعة

معجم شعراء كركوك

وحيد الدين بهاء الدين - الحلقة الثالثة والاشيرة

نحن الآن امام الحلقة الثالثة والاشيرة من معجم شعراء كركوك لشيوخ الباحثين التركمان عطا ترزي باشي، لا غرو ان هذه الحلقة تعد امتدادا طبيعيا لسابقتيها الاولى والثانية وقد مضى الكلام عليها في اعداد فائتة من هذه الصحيفة الغراء من حيث التحليل والتقييم وفي ضوء البعد الزمني والطرح الشعري لعل في هذا لدليل على ما اثر عن المؤلف ترزي باشي من موقف حيادي لما يزاوله من عمل علمي ولمن يركز عليه من شخصية معينة بمرتكزاتها ومعطياتها وفي المضمار الذي تختص به وتتحرك عليه والمفروض ان يكون مسك ختامنا الاحاطة والامام على قدر بالاجزاء الثلاثة الاخيرة من هذا المعجم لكن تعثر صدور الجزء العاشر حتى اليوم لاكثر من سبب اكد هنا على التوقف عند الجز عين الثامن والتاسع ففي الجزء الثامن يدرس المؤلف لثمانية من شعراء كركوك المحدثين المنتمين الى المذهب الكلاسيكي والرومانتيكي في الادب بينهم ممن عرفتهم او التقيتهم او تناولتهم في بعض مؤلفاتي لذا لا اري داعيا لان انوه هنا بذكرهم او بآثارهم لانقاء الحاجة اليه ومن اراد التوسع في معرفتهم والاطلاع على واقعهم الثقافي وافتقارهم الشعري فينبغي له العودة الى تلك المراجع والمصادر . عثمان مظلوم في الطليعة من الشعراء التقليديين التحق بدار المعلمين العالية غير انه تركها بعد عام الى كلية الحقوق مطاوعا رغبته وارادته. في شعره ظاهرة الشكوى من الزمان انما تآثر بهجري دده وثمان نورس واسعد نائب له من الكتب المطبوعة في الادب والتراث الشعبي ما يجدد ذكراه على الاعوام وشاعر آخر ضمه الباحث الى معجمه هو عمر اغا بيرياي طورا وترجيلي طورا اخر، بنبيان من ادلة هذا المتابع او اسانيد ذلك المطالع. لقد رأيت عمر اغا في الخسينيات الغابرات اكثر من مرة في بعض فحلات بلدية كركوك وفي بعض مناسبات محلة بيرياي بقامته الفارعة وسحنته الجادة وحادثيه المتقضية، فهو كصاحبه المظلوم اكتفى برسم خطي القدامى من شعراء الترك مثل نامق كمال ، ضياء باشا ، رجائي زادة محمد اكرم، لم يكتف عمر اغا بهذا القدر لطموحه الشخصي وانجرافه باقاعات الشعر الجديد الذي مال اليه بعض الشيء ونظم فيه، كذلك اظهر قدرة في النظم باللغة الكردية. ثم الشاعر الذي اولاه المؤلف الاهتمام اللائق به هو رضا جلال هذا الذي ينحدر ابا عن جد من قرية تسعين المتاخمة لمدينة كركوك. ابواه من التركمان الشيعة فقد درس في الكتاتيب على الطريقة القديمة قارنا القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وما اليها ، ثم انتمى الى احدى المدارس فالمدرسة السلطانية حتى الاحتلال الانكليزي للعراق، ولما لم يستطع متابعة تحصيله اثر ذلك اضطر ان يتولى ادارة الاملاك التي ورثها عن والده واخيه وان يتوجه في الوقت عينه الى تغذية وجدانه وفكره بالمطالعة لكنه في الاعوام الاخيرة اخذ ينهمك في انجاز معاملات الطابو التي اوجده وشارة الى حضوره الدائم الى ان توفاه الله وعمره سبعة وسبعون عاما. في بداية الثمانينيات السابقات كتب رضا انتاجه الشعري الخالي من الصناعة اللفظية على وفق طريقة العروض من المعرفة مقتفيا خطوات من كان على هذا الدرب. من هنا عالج الشعر الغزلي فاجاد فيه ويرى ترزي باشي انه لا يعد شاعرا مجددا وكذلك لا يعد مقلدا وكانت لغته الشعرية نقية شفافة لا تعقد فيها ولا تعمل. والجزء التاسع من معجم شعراء كركوك هو خاتم الاجزاء يضم سردا وتعريفا لاثني عشر فردا منهم الشباب والكهول والشيوخ، بينهم من كانت لي به صلة قريبا او بعدا مثل عنایت رفيق وشاكر صابري والضابط ونجم الدين اسين ومنهم من سلف ان قيمت شعره لمحمد عزت خطاط او درسته في الثانوية كأحمد او طراحي او غلو والطريف ان تكون هناك امرأة شاعرة هي شهناز خانم وقد انبرت كحالة شاذة لغيباب العنصر النسائي في المعجم اطلاقا وهذه الشاعرة ابنة الشاعر رسول حاوي كل فتاة بابيها معجبة- اذ تلتذت على يد معلمة استفدتها لها ابوها لصلف موهبتها واعلاء منزلتها، كانت شهناز خانم شاعرة باللغة التركية بينما كشت من جانب ثان عن قدرة في النظم في اللغتين العربية والفارسية ومن الموسف انها توفيت بداء الطاعون عام 1425 للهجرة ولما تخطت نضارة الشباب. والشعراء الآخرون الذين درسه المؤلف عبر نتاجاتهم وظروفهم الموضوعية بالسرد والتفسير والنقد متقوتون في التعبير عن مدى طاقاتهم المخزونة تقاوتهم في بسط مفاهيمهم الفكرية ومآتيم الواقعية من خلال القصائد والمقطوعات ، انما اللافت للنظر في هذا الجزء هو عصمت اوزجان الذي ضرب هو ومعاصروه سهما وافر في ارسال الشعر الحديث المتأثر بالتيارات المعاصرة والمصورة لمكابدات الإنسان الذي مزقته الحضارة الآلية وهرسه القلق المتصل المبدع . واخر من انضوى تحت لواء هذا الجزء من المعجم الشاعر تاقى بك وان شئت فقل تقي الدين هو من ال النفظي بكركوك عرف بشعره القليل وظرفه وغشيانه مجالس الانس والطرب لكن النزعة الغالبة عليه اينما كان وحيشا وجد هي نزوات في عالم النساء وملاحقتهن جهارا نهارا وتحرشه المزمع بهن تحقيا لمعتة الخاصة ضاربا تقاليد المجتمع عرض الحائط حتى ساءت سمعته وسقطت قيمته والله في خلقه شؤون.

على ضوء ما جاء به اللورد كورزون لكان عدد التركمان في العراق اضعاف ما جاءت به الحكومة العراقية .

وعند نهاية التعداد السكاني لعام 1921م ظهرت أعمال الشغب وعمت الولاية نوع من عدم الاستقرار وذلك للتغيير الجذري الذي حصل في تركيبة السكان وبذلك قررت جمعية الاقوام ارسال هيئة من المختصين لتقصي الحقائق والتحقيق في تورط المسؤول البريطاني السير (هنري ديفس) في هذه الاعمال .

وتشكلت الهيئة المختصة لجمعية الاقوام من (كونت تكل) الذي شغل منصب رئاسة الوزراء في هنغاريا او المجر والسفير السويدي (اوف فيرسن) وكذلك العقيد البلجيكي (بولستن) . وفي نص المذكرة التي قدمت من قبل (كونت تكل) الى رئيس جمعية الاقوام يذكر فيها:

عند وصولي الى مدينة الموصل بتاريخ 27 كانون الثاني من عام 1925م اردت اجراء زيارة تفقدية داخل المدينة برفقة (الميسيو رودولفو) و (الميسيو شارير) مع جواد باشا الذي طلب رفاقتنا بالزي العسكري التركي .

وسبب ظهور جواد باشا بهذا الزي جاء حسب طلبه لظهور مدى قبول هذا الزي للهيئة من قبل سكان مدينة الموصل . وللتأكد من هذا الشيء قبلت طلب جواد باشا برحابة صدر . وصادفنا في الطريق اكثر من ثلاثين من المواطنين اظن أنهم كانوا من العرب وعندما رأوا جواد باشا انحنا له وقبلوا يده وهتقوا بحياة الباشا ولدولة تركيا . وازداد عدد الذين تجمعوا حولنا الى اكثر من 200 شخص وبدأوا بتظاهرة سلمية مؤيدة للترك وما ان مررنا من أمام القشلة (تكتة عسكرية تركية) رأيت عددا من رجال الشرطة وهم يحاولون تفرقة المتظاهرين الذين ازدادت أعدادهم . وعند المرور من السوق الرئيسي للمدينة رافقتنا ثلاثة من رجال الشرطة ومن بينهم شرطي انكليزي بينما احتشد الناس حولنا وبدأوا بتحية الباشا بالتصفيق الحار والهتاف بحياته .

ولكن بدا لي ان التشكيلة المجتمعة حول الباشا كانت مكونة من العديد من القوميات ولاحظت أيضا تنوع الزي حيث ظهرت مجموعة ترتدي الملابس النظيفة بينما ترتدي الاخرى ملابس رثة . ومن ثم صدرت الاوامر بالكف عن التظاهرة والزام الهدوء حيث أطاع المتظاهرون في الحال ولكنني رأيت اثنين من رجال الشرطة وهم يلقون الضرب وبالهرارات على رجل قد دخل أحد المحلات التجارية ولكنني وبمداخلة قوية طلبت من أحد الضباط ايقاف ضرب المواطن حيث أبلغته بان الضرب والاعتداء امام رجل من جمعية الاقوام غير وارد وانني بصفتي هذا منعكم من الضرب) .

ونستنتج من هذا النص أن سكان مدينة الموصل كانوا غير راضين عن نتائج التعداد من جهة وأن سكان الموصل باختلاف طبقاتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاثنية يؤيدون بقاء الاتراك في ولاية الموصل .

ونستنتج من هذا الاستنتاج أيضا كثرة اعداد التركمان في مدينة الموصل وان هذه الحقيقة بينة ولا يمكن حجبها كحجب الشمس بالغربال .

الضباط البريطانيين الذين زاروا المنطقة في 1920م قد جمعت المعلومات والاحصاءات الدقيقة حول كل قرية واحتفظوا بسجلات الاحصاء الحقيقية الدقيقة في الارشيف البريطاني والتي تراكت عليها الاغبرة .

ومهما حاول عصمت باشا لظهار الحقيقة واصراره على 146,960 نسمة ولكن اصرار اللورد كورزون المستميت على 66 ألف كان أقوى نتيجة لرجوح كفة البريطانيين الذين كسبوا الحرب .

ومن الدلائل الاخرى حول عدم اجراء التعداد الحقيقي للتركمان هو ما صرح به المراقب والمراسل الصحفي في العراق (اللورد لويد دولبران) بأن تعداد التركمان في العراق ابان انتداب عام 1932م هو 60,000 شخصا . واذا كان اللورد كورزون الذي ذكر بان عدد التركمان هو 66,000 شخصا في عام 1920م فماذا حصل للتركمان خلال الاثنتي عشرة سنة ؟ هل تعرضوا الى المجاعة والاقراض ام توقف نسلهم ؟ ومن هنا تظهر الحقيقة المرة مرة اخرى حول محاولة تصغير اعداد التركمان في العراق لابعادهم عن السياسة العراقية .

ولو أخذنا بنظر الاعتبار أن نسبة النمو المعتمدة علميا كانت 3,4% سنويا حتى بداية الخمسينات فهذا معناه أن سكان العراق في عام 1957م سيكون حوالي 5,560,000 نسمة (الزيادة السنوية مع 36 سنة) . وسيكون عدد التركمان في 1957م حوالي 326,839 نسمة وهذا فقط في ولاية الموصل . وبذلك فسيكون عدد سكان العراق حوالي 8,5 مليون نسمة في عام 2001م وعليه فسيكون تعداد التركمان في الموصل فقط بحوالي 352,640 نسمة . ولكن النمو السكاني للعراق كان أكثر من 6 % وعليه فان نفوس العراق سيكون بحوالي 17 مليون نسمة وتعداد التركمان بحدود 705,280 ألف نسمة وهذا فقط في محافظة الموصل أيضا. وبما أن نفوس العراق في سنة 2000م تقدر بحوالي 24,501,730 نسمة وبذلك سوف يكون عدد نفوس التركمان في محافظة الموصل وحدها بحدود 1,440,309 وهذا الرقم مقارب جدا إلى الأرقام الحقيقية لهذه المحافظة لأن عدد التركمان في قضاء تلعفر وحدها هي بحدود المليون نسمة تتبعها اداريا أكثر من 200 قرية .

إن هذه الحسابات الرياضية تتفاي حسابات الأطراف التي تحاول الهيمنة على المناطق التركمانية الغنية بثرواتها النفطية حيث حاولت هذه الأطراف اظهار نسبة التركمان 1% فقط من جملة سكان العراق .

أما اذا أخذنا بنظر الاعتبار حسابات اللورد كورزون وأضفنا اليه نفس العدد لحساب التركمان في كركوك وأربيل وبغداد وديالى مع تطبيق نسبة النمو المعتمدة علميا وبواقع 3,4% سنويا حتى بداية الخمسينات ونسبة 3,2% منذ بداية الخمسينات فان عدد التركمان وبدون نقاش يجب ان يكون أكثر من الاعداد الحقيقية المخفية من قبل اللورد كورزون. والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو على ماذا استندت الحكومة العراقية لظهور عدد التركمان 136,806 نسمة في 1957م ؟ ولو اجرينا الحسابات الاخرى

1996 20.706.000
2000 24.731.000

1- الإحصاء السكاني العام لسكان عام 1921م :

أن التلاعبات القسرية من قبل الحكومة والهيئة البريطانية التي زارت الموصل ابان الحرب العالمية الاولى كانت من جملة الاسباب التي أدت الى عدم اجراء الاحصاءات الدقيقة في العراق . لقد كانت الأطماع البريطانية للسيطرة على ولاية الموصل وثرواتها النفطية الهائلة واضحة منذ نهاية القرن التاسع عشر عندما دأبت الحكومة البريطانية على تحريض القبائل النجدية من خلال العلاقات الواضحة بين البريطاني (لورنس) ورؤساء القبائل وإبرام المعاهدات السرية لمحاربة الدولة العثمانية . وقد تحققت فعلا مآربهم عندما سيطر البريطانيون على أرض الجزيرة العربية ودخلوا العراق ووصلوا الى كركوك والموصل .

ورغم هدنة (موندوروس) المبرمة في 30 تشرين الأول من عام 1918م والتي أوجبت القوات المحتلة البقاء في اماكن احتلالها ولكن البريطانيين أخذوا ببنود المعاهدة ودخلوا الموصل في 8 تشرين الثاني من عام 1918م . وبدأ البريطانيون بعدها بحملاتهم الدعائية لتصغير حجم التركمان تمهيدا للاستفتاء الذي جرى لتقرير مصير ولاية الموصل لانضمامها إما الى تركيا او الى العراق . لقد رفض التركمان رفضا شديدا لحاقهم الى تركيا للحفاظ على الوحدة العراقية واستماتوا في البقاء في أرض آبائهم وأجدادهم مما لم يرض البريطانيين حيث بدأت التلاعبات واضحة للتقليل من شأن التركمان لموقفهم الوطني المشهود أمام مخططات الاستعمار في تقسيم العراق .

لقد تبين من نتائج الإحصاء السكاني لعام 1921م أن عدد نفوس العراق التقريبي كان بحدود 2,8 مليون نسمة وذلك لأسباب معينة منها التهرب من أداء الخدمة العسكرية وعدم تسجيل القبائل الرحل التي كانت تنتقل في البادية الغربية بالإضافة إلى عدم تسجيل عدد كبير من الولادات الحية في سجلات النفوس . أما بالنسبة إلى تعداد التركمان في هذا الإحصاء حسب ما قدمه عصمت باشا في معاهدة لوزان في حل قضية الموصل ففي ولاية الموصل وحدها كان تعداد التركمان بحدود 146,960 ألف نسمة دون التطرق إلى تعداد التركمان في كركوك وأربيل وبغداد وديالى وبقية المناطق التركمانية الأخرى لكون المسألة متعلقة بالذات بولاية الموصل فقط .

كان اللورد كورزون الدور الكبير في السياسة البريطانية في المنطقة ، فهو الذي احجم نفوذ الروس والامان واطمأعهم في الخليج من خلال ابرامه الاتفاقات السرية مع الشيخ مبارك آل صباح بعد ان زار منطقة الخليج في 1902م ووافق الشيخ مبارك على عدم السماح لاية دولة بخلاف بريطانيا باقامة مكاتب البريد في الكويت وتم تعيين اول مقيم بريطاني في الكويت في عام 1904م. لقد لعب اللورد كورزون GURZON دورا مهما في تصغير حجم التركمان في الموصل خوفا من نتيجة الاستفتاء الذي جرى قبل ابرام معاهدة (لوزان) لتكون نتيجة هذا الاستفتاء عاملا حاسما في قضية الموصل مع العلم أن البعثة البريطانية المؤلفة من

تعداد التركمان في العراق :

من الامور المؤسفة أنه لم يجر أي تعداد سكاني حقيقي يذكر في العراق ليس فقط للتركمان بل لجميع العراقيين وذلك لاسباب سياسية واقتصادية تتعلق بالحفاظ على مصالح الاستعمار في المنطقة . وقد نال التركمان النصيب الاكبر من الحجب لأمور واسباب عديدة منها وجود التركمان في المناطق النفطية وتأثر الحكومة البريطانية بموقف الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى وإثارة قضية ولاية الموصل والتي أشعل الاستعمار فتيل الفتنة الفعلية فيها منذ عام 1921م تحت سياسة (من أنت ؟ والى أية قومية تنتسب) وكذلك اعتبار التركمان بقايا الدولة العثمانية واسباب اخرى لا مجال لحصرها .

لقد أجريت في العراق ثمانية إحصاءات رسمية بعد عام 1921م وحسب السنوات (1927 ، 1934 ، 1957 ، 1947 ، 1965 ، 1977 ، 1987 ، 1997) . ولم تخسل هذه الاحصاءات من الاخطاء وتحجيب اعداد التركمان الحقيقية ولم تذكر فيها اعداد ونسب القوميات في أغلب الاحصاءات . إن الإحصاء الوحيد الذي يمكن التعويل عليه رغم المغالطات هو الإحصاء السكاني لعام 1957م والمعدل في 1959م حسب التصحيح الذي ورد بعده وذلك لورود اعداد ونسب القوميات والأديان فيها . ولأثبات عدم الدقة وكثرة الاخطاء في الاحصاءات السابقة يمكننا اظهار نتائج إحصاء 1947م حيث يظهر في المثاليين أدناه (أ) و (ب) وجود التناقضات الواضحة بين النتائج المعلنة:

أ- اظهرت نتائج الإحصاء السكاني العام الذي جرى بتاريخ 19 تشرين الثاني من عام 1947م بان نفوس العراق هو بحدود 5 مليون نسمة وفي مصادر أخرى بحدود 4,2 مليون نسمة حيث ظهر الفرق بين النتيجتين واضحا في الاحصاء الواحد أي بحوالي (800 ألف نسمة) ولم يذكر في هذه الاحصاء عدد ونسب القوميات والأديان في العراق.

ب- ظهرت نتائج مغايرة اخرى في هذا الإحصاء حيث بلغ عدد نفوس العراق بحوالي 3,467,269 نسمة وحسب البيانات المأخوذة من مديرية الإحصاء التابعة لوزارة التخطيط لعام 1965م . ويؤكد ظهور التناقض والفوارق الكبيرة الواضحة بين الارقام صحة ما نقول . وقبل الدخول الى التفاصيل فان الجدول التالي يوضح لنا عدد نفوس العراق في السنوات التي جرت فيها التعداد والاحصاءات بصورة عامة والمأخوذة أيضا من من مديرية الإحصاء التابعة لوزارة التخطيط العراقية :

السنة	نفوس العراق
1918	2.307.692
1920	2.849.282
1947	4.800.000
1950	5.000.000
1957	6.276.000
1965	8.261.000
1975	11.124.000
1976	11.505.000
1977	12.171.480
1980	15.585.000
1988	18.100.000
1993	19.454.000

نعي

ينعى مكتب الجبهة التركمانية العراقية بكر كوك المرحوم عبدالستار خالد بيرقدار احد وجهاء كركوك ندعو الله العلي القدير ان يسكنه فسيح جناته. انا لله وانا اليه راجعون

ياوز عمر عادل

مسؤول مكتب الجبهة التركمانية العراقية في كركوك

نعي

ينعى مكتب الجبهة التركمانية العراقية في كركوك المرحوم المناضل عز الدين قوجوا احد المناضلين التركمان في الخارج الذي توفي بأجله الموعود وندعو الله العلي القدير ان يسكنه فسيح جناته ويلهم ذويه الصبر والسلوان. انا لله وانا اليه راجعون

ياوز عمر عادل

مسؤول مكتب الجبهة التركمانية العراقية في كركوك

ملاحظة

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.

توركمز ايلي

صاحب الامتياز.. الجبهة التركمانية العراقية

رئيس التحرير.. عبدالقادر حجي اوغلو

مدير التحرير.. مازن قاورماجي

الهاتف / 2227528

عنوان البريد الإلكتروني

e-mail- erbil @ turkmencephesi.org